إتلاف السلطة للكتب
في الحضارة العربية الإسلامية

ظاهرة الغسل والإغراق في الفترة من القرن الأول وحتى القرن الثانى عشر الهجرى

د. إسراء محمد عبد ربه

كاتبة وأكاديمية متخصصة في المكتبات والمعلومات

د. أشرف صالح محمد

كاتب وأكاديمي متخصص في تاريخ وتراث العصور الوسطى

ملخص:

تواترت ظاهرة إتلاف الكتب في الحضارة العربية الإسلامية بصورة حادة، وراوحت في انطلاقها بين الواحد والمتعدد، والطابع الفردي والجماعي، والكتاب والمكتبات، لتتباين في درجة حدتها بين حقبة وأخرى؛ لقد عانى الكتاب العربي من الإتلاف أو التغييب– مع ازدهار تلك الحضارة العربية الإسلامية، وتزايدت أعراض وآثار هذه الظاهرة مع خفوت ضوء الحضارة منذ قرون. اعتمدت الدراسة على المنهج العلمي التاريخي في جمع المعلومات والبيانات من المصادر الأصيلة والثانوية والدراسات السابقة لتسليط الضوء على دور الماء في ضياع قسط وافر من تراثنا العربي المخطوط من خلال رصد حالات غسل وإغراق السلطة للكتب خلال الفترة من القرن الأول الهجري وحتى القرن الثاني عشر الهجري.

كلمات مفتاحية:

إتلاف الكتب، غسل الكتب، إغراق الكتب، السلطة والكتاب، التراث المفقود

Abstract:

Arab books and libraries suffered from destruction in the Arab-Islamic civilization, which led to the loss of at least eight million books, the fruit of the efforts of scientists, philosophers, writers and thinkers of different eras. It is noted that water was present in the phenomenon of the absence of the book. In this context, this study seeks to monitor the cases of the destruction of books by authority, whether this power in the ruler or society or customs and traditions. The time limits of the study extend from the first century AH until the twelfth century AH, and the study did not adhere to a certain spatial area. It is based on investigating the impact of water on the loss of the book from anywhere in the Arab Islamic world.

مقدمة:

الكتب والمكتبات مخلوق كسائر المخلوقات، تخضع لسُنَّة الهناء والشقاء، أو قصر العمر أو طول البقاء، وقد يقابلها الصديق الوفي الذي يحافظ عليها ويعمل على منفعتها، وكذلك العدو اللدود الذي يسعى لإيقاع الأذى بها. وخلال فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية ما بين القرن السابع والقرن الثالث عشر للميلاد، عندما اتسع أفق المسلمين العقلي، وتنوعت اهتماماتهم الفكرية والعلمية، كانت المكتبات نتاج طبيعي لهذه الحضارة وانعكاس لها، وقد ساهمت في توسيع نطاقها والحفاظ عليها، ونقلها إلى الأجيال التالية.

ونظرًا لأن الكتاب هو الوعاء الثابت والدائم للكلمة الفاعلة والخلّاقة، يجمع بين القوة والضعف، والخطورة والانقياد في آن، لهذا يتعرض الكتاب كثيرًا لمحاولات الإلغاء والتدمير وبطبيعة الحال المكتبة، فينتج من هذا سلسلة من الأحداث، ومن ثَمَّ النصوص التي تتعرض للسطوة التي يمارسها الإنسان على الكتاب، وتكشف عن مقاومة الكتابة والكتاب لتلك الهيمنة الدائمة.

لقد كان للحضارة العربية والإسلامية قدم السبق على سائر الحضارات في الاهتمام بالكتب تأليفًا، وتصنيفًا، وتنسيقًا، وخطًا، ونسخًا، ومقابلةً، وتصحيحًا، وترجمةً، واقتناءً، وإهداءً، وتفننا في جميع ذلك وغيره، بما لا تعرفه حضارة أخرى مثلما عرفته حضارتنا المتألقة، إلا أن الكتاب العربي والإسلامي تعرض لكوارث لا حد لها، كان من أهمها الحروب والغزوات الداخلية والخارجية التي تعرض لها العالم الإسلامي، حيث دُمرت الكثير من المكتبات، كما كان للمحن والبلايا مثل المجاعات وحالات الغلاء والفقر والتي كانت كثيرًا ما تعصف بالبلاد الإسلامية، أثر كبير على مصير الكتاب الإسلامي الذي تعرض للسلب والنهب والتدمير، أضف إلى ذلك؛ السرقة، والجهل، والتعصب، والفتن، والإهمال، وعدم أمانة المشرفين على المكتبات.

الأمر الذي أدى إلى ضياع زهاء ثمانية ملايين كتاب على أقل تقدير، هي ثمرة جهود العلماء والفلاسفة والأدباء والمفكرين عبر عصور مختلفة، أضف إلى ذلك ما تعرضت له الخزائن والكتب من محن بسب انتشار ظاهرة غريبة بين العلماء، ألا وهي ظاهرة إتلاف الكتب، كحرقها عمدًا مع سبق الإصرار، أو غسلها بالماء، أو دفنها في باطن الأرض، أو تطييرها في الهواء، أو تمزيقها ورميها في الهواء، أو تركها في الصحراء، أو إلقائها في الأنهار والآبار أو البحار، أو إعدامها والتخلص منها بطريقة أو بأخرى.

ومن الملاحظ أن؛ الماء كان حاضرًا في ظاهرة تغييب الكتاب، وفي هذا السياق تسعى هذه الدراسة إلى رصد حالات إتلاف السلطة للكتب، سواء تمثلت هذه السلطة في الحاكم أو المجتمع أو العادات والتقاليد. والحدود الزمنية للدراسة تمتد خلال الفترة من القرن الأول الهجري وحتى القرن الثاني عشر الهجري، ولم تتقيد الدراسة بناحية مكانية معينة، فهي تعتمد على استقصاء أثر الماء في ضياع الكتاب من أي مكان داخل العالم العربي الإسلامي.

أولاً: غسل السلطة للكتب:

المقصود بـ "غَسْل الكتاب" هو أن يأخذ أحدهم كتابًا فيغمسه في إناء مملوء بالماء حتى يذوب ويُمحى ما كُتب فيه من حروف وكلمات[١]. وغَسْلُ الكتابة، أسلوب آخر من أساليب إبادة الكتب وإتلافها، وذلك أن بعض الناس كانوا يعدمون مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم، فيغسلون كتابتها، بأن يضعوا الكتب أو الأوراق المخطوطة في الماء مدة من الزمن، فينحل حبرها، وتطمس كتابتها وتشوش معالمها، وذلك للتخلص مما فيها من أقوال وآراء لا يُرغب في الإبقاء عليها ولا في الاحتفاظ بها[٢].

والأخبار التي وقفنا عليها بلغت تسع حالات استعملت السلطة فيها الماء في إتلاف الكتب وهي: عبدُ الله بن مسعود (ت.٣٢هـ)، أبو موسى الأشعري (ت.٤٤هـ)، الخليفة علي بن يوسف الموحدي (ق٦هـ)، ابن تيمية الحراني (ت.٧٢٨هـ)، تقي الدين

السبكي (ت.٧٥٦هـ)، علي بن ميمون (ق١٠هـ)، مدائح ابن هبيرة (ت.٥٦٠هـ)، كتاب نقض القرآن (ق٧هـ)، كتاب فصوص الحكم (٧٤٤هـ). وسنعرض لها فيما يلي وفق التسلسل الزمني:

كان خوف مضاهاة الكتب بالقرآن والاشتغال بها عنه باعثًا للمُحدَّثين لإتلاف الكتب، لاسيما وهي عرضة للخطأ والوهم والنسيان، وربما للوضع والكذب والبهتان، وغير ذلك من العوارض البشرية التي قلَّما يسلم منها إنسان، فقد اشتغل السابقون بآراء علمائهم عن الكتب المنزلة فضلوا[٣]. وكان من أشد الناس في ذلك ابن مسعود، فعن الأسود بن هلال (ت.٨٤هـ) [٤]، قال: "أُتِيَ عبدُ الله (ت.٣٢هـ) بصحيفة فيها حديث، فدعا بماء فمحاها، ثم غسلها، ثم أمر بها فأُحرقت" ثم قال: "إنما هلك أهل الكتاب قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم، وتركوا كتاب ربهم"[٥].

وعبد الله هو ابن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذلي الإمام الحبر، فقيه الأمة، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين[٦]. وفي قصة أخرى طريفة عنه، يروي الفقيه عبد الرحمن بن الأسود (ت.٩٨هـ)[٧] عن أبيه الأسود بن يزيد النخعي (ت.٧٥هـ)[٨] قال: "أصبت أنا وعلقمةُ (ت. ٦٢هـ) صحيفةً، فانطلق معي إلى ابن مسعود (ت.٣٢هـ) بها....، فقلنا هذه صحيفة فيها حديث حسن، فقال: يا جارية هاتي بِطَسْتٍ واسكُبي فيه ماءً، فجعل يمحوها بيده، ويقول: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، فقلنا: انظر فيها، فإن فيها حديثًا عجيبًا، فجعل يمحوها، ويقول: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره".[٩]

ونطالع في تراجم بعض أئمة الحديث ظاهرة غسل الكتب بالماء، قال أبو بُرْدَةَ (ت. ١٠٤هـ)[١٠] عن أبوه أبو موسى الأشعري (ت.٤٤هـ)،[١١] "كان أبو موسى يحدثُنا بأحاديث، فقُمنا لنكتبها، فقال: أتكتبون ما سمعتم مني؟! قلنا نعم. قال: فجِيئُوني به، فدعا بماء فغسله، وقال: احفظوا عنا كما حفظنا!". وفي رواية قال: كَتبتُ عن أبي كتابًا كثيرًا، فقال: أتني بكُتبك، فأتيتهُ فغسلها. فقد أراد أبو موسى أن لا

يتكل ابنه على الكتاب، فيبطل حفظه، فأرشده إلى أن يحفظ كما كان يحفظ، وهذا منهج في التربية لا يشاح فيه. فقد كان بعض المحدثين يعتمد على الكتاب ليستعين به على الحفظ، زيادةً في الاحتياط والتوثيق، فإذا حفظه أتلف الكتاب.(١٢)

ومن أمثلة استعمال السلطة للماء في إتلاف الكتب، ما ذكره بعض المؤرخين من أمر الخليفة علي بن يوسف الموحدي بحل نسخة بالماء من كتاب "إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي (ت.٥٠٥هـ)، كان القاضي الفقيه، والرحَّالة الأديب أبو بكر ابن العربي المعافري (ت.٥٤٣هـ) قد جلبها من المشرق.(١٣)

أما متاجر بيع الكتب، فكثيرة في بغداد وبالتحديد عند بوابة البصرة كان يوجد أكثر من مائة متجر، ولم تكن تخلو تلك المتاجر من المشترين بل كان يتردد إليها الناس على اختلاف طبقاتهم، فكل متعلم من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم، ومن قاضي المدينة إلى مؤذن المسجد، هم زبون دائم عند بائع الكتب.(١٤) لكن ليس كل مَنْ يشتري كتبًا يُعَدّ مهتمًا بها أو محبًا لها، فربما كان الهدف من شرائه لها مخزيًا وحقيرًا. ومثال ذلك ما حدث لمدائح ابن هبيرة (ت.٥٦٠هـ)، وهو يحيى بن محمد بن هبيرة الوزير العالم العادل صدر الوزراء، قال ابن الجوزي، كانت له معرفة حسنة بالنحو، واللغة، والعروض، وصنف في تلك العلوم، وكان متشددًا في اتباع السنة وسير السلف. وأخبار الوزير ومناقبه كثيرة جدًا، وقد مدحه الشعراء فكثروا. وقيل: إنه رزق من الشعراء ما لم يرزقه أحد، ومن أكابرهم: الحيص بيص، وابن بختيار الأبله، وابن التعاويذي، والعماد الكاتب، وأبو علي بن أبي قيراط، ومنصور النميري، وخلق كثير،(١٥) حتى قيل إن مدائح الوزير ابن هبيرة جمعت وكانت "ما يزيد على مئتي ألف قصيدة في مجلدات. فلما بيعت بعد موته اشتراها أحد خصومه فغسلها"،(١٦) أي أتلفها حسدًا غير عابئ بما فيها من جمال اللغة والأدب، ولا ملتفت إلى ما قد تحمله من تاريخ وحضارة أو إبداع أو إنتاج.(١٧)

الجدير بالذكر؛ أن بعض خزنة الكتب، كانوا يحرصون على تدمير الكتب

احتسابًا لما يرون فيها من نشر الباطل، بوصفهم مراقبين لتلك المكتبات، وهذه المسألة توضح لنا مدى الخطورة في ضياع الكثير من تراثنا المفقود بهذه الطريقة المخيفة، ومن ذلك ما رواه ياقوت في معجم الأدباء، أن الأديب النحوي أبو بكر المبارك بن المبارك بن سعيد بن الدهان الوسطى المعروف بالوجيه (ت. ٦١٢هـ) حضر ذات يوم في دار الكتب التي برباط المأمونية (بغداد)،[١٨] "وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله، فجرى حديث المعرّي، فَذَمُهُ الخازن وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه: وأي شيء كان هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن،[١٩] فقال له: أخطأت في غسله، فعجب الجماعةُ منه وتغامزوا عليه، واستشاط ابنُ هبة الله وقال له: مثلك يَنْهَى عن مثل هذا؟ قال: نعم، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيرًا منه أو دونه، فإن كان مثله أو خيرًا منه وحاشَ لله أن يكونَ ذلك، فلا يجب أن يفرط في مثله، وإن كان دونه وذلك ما لا شكَّ فيه فَتَرَكُهُ معجزة للقرآن، فلا يجب التفريط فيه، فاستحسن الجماعةُ قوله، ووافقه ابنُ هبةِ الله على الحق وسكت".[٢٠]

هذه وجهة نظر سديدة أبداها الوجيه، وقد صحبها اعتراف بالحق أعظم منها سدادًا، وأجمل في النفوس موقعًا، لكن أين مَنْ يراجع اليوم نفسه مثل هذه المراجعة، ويقيس رأيه برأي غيره في مثل هذه الدقة؛ ثم يقتنع شاكرًا إن أخطأ، ويقنع متلطفًا إن أصاب؟.[٢١] هذه الحادثة المعرفية تميّز بين العالم المتدين، وبين المتدين غير العالم، لذلك يبرز التفاوت العلمي عند الشخصين،[٢٢] وتتداخل في هذه الحكاية السردية أربعة أصوات؛ صوت الراوي الخارجي ياقوت الحموي، وصوت المبارك بن المبارك، وصوت هبة الله خازن المكتبة، وصت الجماعة. حين يعلو صوت الخازن هبة الله معترفًا بغسل الكتاب تدعمه الجماعة، ويقف الراوي سلبًا، منظرًا سير الحدث، ثم يظهر صوت المبارك الذي يلغي قيمة الغسل للكتاب ويفندها، تقف الأصوات كلها ضده، مع ملاحظة أن صوت الجماعة هنا يتمثل في جملة "وتغامزوا عليه"، يبدو

التغامز غير فاعل ولكنه مؤثر.[٢٣]

ومن العلماء الذين غسلوا كتب غيرهم لما فيها من الضلال، شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت.٧٢٨هـ)، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة علي بن الحسن بن عبد الله بن الجابي (ت.٧٠١هـ) أنه كان خطيبًا فصيح التلاوة، وأنه كان قد أُغري بالكيمياء، وحصل فيها كتبًا كثيرة جدًا، وكان يزعم أنها صحّت معه. قال ابن الجزري: "كان صاحبي، وكان يعرف الكيمياء معرفة تامة، ولما مات، توجه الشيخ تقي الدين ابن تيمية، فاشترى منها جملة وغسلها في الحال، وقال هذه الكتب كان الناس يضلون بها وتضيع أموالهم، فافتديتهم بما بذلته في ثمنها".[٢٤] ولا يخفى أن ما كان يصبو إليه الكيمياويون في الأزمنة القديمة، هو البحث عن الأكسير للتوصل به إلى استخراج الذهب من المعادن الخسيسة، وهو أمل برّاق خلاّب لم تحققه الأيام.[٢٥]

ذكر زين ين عمر بن المظفر بن الوردي (ت.٧٤٩هـ) في كتاب "تتمة الْمُخْتَصر فِي أَخْبَار الْبشر" والذي ذيل به على كتاب "الْمُخْتَصر فِي أَخْبَار الْبشر" المعروف بتاريخ أبي الفداء (ت.٧٣٢هـ) في حوادث سنة (٧٤٤هـ) واقعة تمزيق وغسل كتاب فصوص الحكم،[٢٦] فقال: "وفيها مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب، عقب الدرس، وغسلناه، وهو من تصانيف ابن عربي، تنبيهًا على تحريم قنيته ومطالعته...".[٢٧]

من العلماء الذين برزوا في عصر المماليك (٦٤٨ – ٩٢٣هـ) تقي الدين السبكي (ت.٧٥٦هـ)، وهو الشَّيْخ الإِمَام الْفَقِيه الْمُحدث الْحَافِظ الْمُفَسّر الْمُقْرِئ الأصولي الْمُتَكَلّم النَّحْوِيّ، عَليّ بن عبد الْكَافِي بن عَليّ بن تَمام بن يُوسُف بن مُوسَى بن تَمام بْن حَامِد بن يحيى بن عمر بن عُثْمَان بن عَليّ بن مسوار بن سوار بْن سليم السُّبْكِيّ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الورع الخاشع البارع العلاّمة. وقد وقف العلامة تقي الدين السبكي على كتاب بعنوان "الطرائف في معرفة الطوائف"، يتَضَمَّن

الطعْن على دين الْإِسْلَام، لذا "أَخذه تقي الدَّين السبكي عِنْده وقطعه فِي اللَّيْل وغسله بِالْمَاء".[٢٨]

لقد أتلف السبكي ذلك الكتاب سنة ٧٥٠هـ بصفته قاضي القضاة، فقد تبين أن مؤلف الكتاب هو السكاكيني (ت.٧٢١هـ) "محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم"،[٢٩] وجد بعد موته كتاب بخطه اسمه "الطرائف في معرفة الطوائف" فيه زندقة، وقال في آخره وكتبه مصنفه عبد الحميد بن داود المصري، وهذا الاسم لا وجود له، وقد شهد المعروفين من أهل الحديث في دمشق بأن هذا خط السكاكيني، يقول الصفدي "فقطع شيخنا قاضي القضاة هذا الكتاب الملعون وغسله".[٣٠] قال الشوكاني في البدر الطالع: "ومجرد كون الخط يشبه خطه في ذلك الكتاب لا يحل الجزم بأنه مصنفه لاحتمال أن الخط غير خطه، وعلى فرض أنه خطه، فقد يكون الواضع له غيره وكتبه بخطه".[٣١]

أما ابن عِرَاقَ (ت.٩٣٣هـ)، فهو محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عِرَاقَ الدمشقي الشافعي، صوفي ولد في دمشق سنة ٨٧٨هـ، واشتغل بالصيد والشطرنج والنرد، ثم انقطع إلى العلم، وسلك طريق التصوف والزهد، وسكن بيروت، وحج وجاور الحرمين، وتوفي في مكة.[٣٢] يقول الغزي: "... وألفَ سيدي محمد (ابن عِرَاقَ) في تلك المدة أربعة وعشرين كتابًا في طريق القوم (الصوفية)، فلما بلغ شيخه ذلك انقبض انقباضًا شديدًا، وتطور عليه، وعزم بسبب ذلك على السفر من حماة إلى دمشق، وكتب إلى بيروت لسيدي محمد لمَنْ يلقاه بالكتب إلى دمشق، فسافر سيدي محمد إلى دمشق، ونزل عند والدته، وأقام عندها أيامًا حتى قدم شيخه سيدي علي بن ميمون في سابع عشري رجب سنة ثلاث عشرة وتسعمائة (٩١٣هـ)، ونزل بالصالحية، فسار إليه سيدي محمد، وتلقاه بالسلام والإكرام غير أنه استدعاه في ذلك المجلس، وقال له: يا خائن يا كذاب عن مَنْ أخذت هذا القيل والقال؟ فقال له سيدي محمد: يا سيدي فداك نفسي قد أتيناك بالموبقات، فافعل فيها ما تشاء، فغسلها سيدي علي".[٣٣]

فمن قواعد الصوفية ألا يقوم المريد بأي فعل من أفعال طريق القوم إلا بعد أن يأذن له شيخه، حتى أن بعضهم يستأذن شيخه في الحج، وابن عِرَاقَ في الرواية – السابقة الذكر – قد ألفَ هذه الكتب من غير أن يأخذ الإذن في تأليفها عن شيخه علي بن ميمون الغماري (ت.٩١٧هـ)، ولذا وجبَ تأديبه بإتلافها.[٣٤]

ثانيًا: إغراق السلطة للكتب

الإغراق (التغريق) المقصود به رمي الكتب في مجاري البحار أو الأنهار أو برك المياه، وهذا الأسلوب كثيرًا ما لجأ إليه المؤلفون، وقليلاً ما استعمله الحكام والفقهاء.[٣٥] ووفقًا لحدود الدراسة أغرقت من المكتبات الخاصة مكتبتان وهما؛ مكتبة الأمير مبشر بن فاتك (ت.٥٠٠هـ)، ومكتبة الشيخ عبد العزيز النجفي (ت.١١٨٠هـ)، وأغرقت واحدة من المكتبات العامة وهي مكتبة بغداد (٦٥٦هـ).

ومن الأمور الطريفة والغريبة في تاريخ الكتاب الإسلامي ما كان يحدث من زوجات العلماء وجماعي الكتب من إتلاف لكتب أزواجهم عمدًا بدافع الغيرة من تلك الكتب أو الانتقام الشخصي من زوجها.[٣٦] ومن أغرب الأخبار عن ذلك ما حدث لمكتبة الأمير مبشر بن فاتك الآمدي (ت.٥٠٠هـ) "محمود الدولة، أبو الوفاء" من أعيان أمراء مِصْرَ وأفاضل علمائها المحبين للعلم وأهله، ومن المعروفين بتفوقهم في العلوم الرياضية والمنطقية، أصله من دمشق واستوطن الديار المِصْرَية في أيام الخليفة الظاهر والمستنصر. كان كثير الكتابة والتأليف، حيث وجدت له كتب كثيرة بخط يده من تأليف المتقدمين عليه، ومن مؤلفاته كتاب "الوصايا والأمثال والموجز حُلم الأقوال"، وكتاب "البداية في المنطق"، وكتاب "مختار الحكم ومحاسن الكلم"، وله كتاب عن سيرة الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في ثلاث مجلدات.[٣٧]

ملك من الكتب عدد كبير يصعب حصره،[٣٨] فكانت له خزائن كتب لا يفارقها في أكثر أوقاته، وصفها الشيخ سديد الدين المنطقي، فقال: "كانت له خزائن كتب، فكان في أكثر أوقاته إذا نزل من الركوب لا يفارقها، وليس له دأب إلا المطالعة

والكتابة، ويرى أن ذلك أهم ما عنده"،[٣٩] فانصرف عن أمور الحياة وانشغل بهذه الخزائن، حيث ملك من الكتب ما لا يحصى عدده كثرة. وقد دُمرت تلك المكتبة على يد زوجته، فقد كان لابن فاتك زوجة كبيرة القدر، ولكنها كانت تكره كتبه لانشغاله بها عنها، فعندما توفي الأمير قامت هي وجواريها إلى خزانة كتبه، وأخذت الكتب وألقت بها في بركة ماء كبيرة كانت في وسط الدار، ولقد رُفعت الكتب بعد ذلك من الماء، إلا إنه قد غرق أكثرها.[٤٠]

لقد أثرت الفتن والحروب وما تحمله معها من أحقاد وضغائن على وجود الكتاب العربي، فكثيرًا ما كان يعمد الغزاة بعد اجتياحهم لبلد من البلدان إلى إعدام كل ما يمت بصلة إلى حضارته وثقافته.[٤١] فقد شهد القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) كارثة غزو المغول لحاضرة الخلافة العباسية "بغداد" سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، حيث استهدف المغول مكتبة بغداد العظيمة وهي أعظم مكتبة على وجه الأرض في ذلك الزمان، وهي الدار التي كانت تحوي عصارة فكر المسلمين في أكثر من ستمائة عام، جمعت فيها كل العلوم والآداب والفنون وعلوم شرعية كتفسير القرآن أو الحديث والفقه والعقيدة، والأخلاق ومن علوم حياتية، كالطب والفلك والهندسة والكيمياء والفيزياء والجغرافيا وعلوم الأرض، ومن علوم إنسانية كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب والتاريخ والفلسفة، وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى ملايين الأبيات من الشعر، وعشرات الآلاف من القصص والنثر، فإن أضفت إلى كل ما سبق الترجمات المختلفة لكل العلوم الأجنبية سواء اليونانية أو الفارسية أو الهندية أو غير ذلك، علمت حجم الخسارة الحضارية التي منيت بها الإنسانية.[٤٢]

حمل التتار الكتب الثمينة، ملايين الكتب القيمة، من بيت الحكمة وما في غيرها من مكتبات بغداد وخزائنها،[٤٣] وألقوا بها جميعًا في نهر دجلة، يقول ابن خلدون (ت.٨٠٨هـ) "واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها علي ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في

دجلة".[٤٤] ويذكر القلقشندي (ت.٨٢١هـ) تدمير بيت الحكمة بقوله: "ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن: إحداها خزانة الخلفاء العباسيين في بغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد،.... فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها".[٤٥]

ألقى المغول بمجهود القرون الماضية في نهر دجلة، ويذكر قطب الدين النهروالي (ت. ٩٩٨هـ) أن المغول رَمَوا أيضًا كتب مدارس بغداد في بحر الفرات، فكانت لكثرة عددها تشكل جسرًا يمر عليه قوات المشاة من الجنود والفرسان،[٤٦] وتحول لون المياه إلى اللون الأسود من أثر مداد الكتب والمخطوطات، وكان الفارس المغولي يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى،[٤٧] وهذه جريمة في حق الإنسانية،[٤٨] وخسارة للثقافة والمعرفة والحضارة الإسلامية.[٤٩]

بل إن حكايات ألف ليلة وليلة تحدثت عن الموضوع وبخاصةً حكاية علاء الدين والفانوس السحري، فقد ورد فيها ما معناه: "أثناء الليل كانوا يغلقون أبواب بغداد خوفًا من أن يدخل إليها الزنادقة ويسيطروا عليها، وخوفًا من أن يرموا كتب العلم في النهر الفرات".[٥٠] ولعله من الدلائل التي تؤكد وقوع هذه الجريمة الشنعاء في حق التراث الإسلامي، وجود دليل مادي يثبت جريمة التتار وهو كتاب في المكتبة القادرية الموجودة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد، استطاع أحد المسلمين في أيام احتلال بغداد انتشاله من نهر دجلة من بين الكتب التي قذفها التتار فيه. ويستطيع كل قارئ أن يطلع على هذا الكتاب، وعلى ما هو مسجل فيه، وعلى أثر البلل الذي لحق بالكتاب فأربك الحبر في بعض صفحاته.[٥١]

ويبدو أنه وقع التمييز بين الكتب قبل إتلافها، فلم يتلف في هذه الواقعة سوى كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه، وهو ما ينبه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت.٧٢٨هـ) حينما قال: "لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسي منجمًا لهولاكو،

استولى على كتب الناس الوقف والملك، فكان كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها، وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة".[٥٢]

فقد أمر هولاكو (ت.٦٦٠هـ) ببناء مرصد فلكي في مراغه (إحدى مدن أذربيجان) وعهَدَ به إلى العالم الفلكي والفيلسوف نصر الدين الطوسي (ت.٦٧٢هـ)، الذي رافق هولاكو في حملته على بغداد، ويقال إن عدد الكتب التي انتهبها ليجعلها في مكتبة المرصد الفلكي كان يربوا على الأربعمائة ألف مجلد.[٥٣]

وقد أدى جهل بعض أفراد المجتمع بقيمة الكتب في ضياع مؤلفات نفيسة، مثل ما حدث في القرن الثاني عشر الهجري، حيث تلفت وأغرقت كتب الشيخ عبد العزيز النجفي (ت.١١٨٠هـ)، وهو السيد عبد العزيز بن السيد أحمد، أديبًا من أفاضل عصره، جمع كتبًا نفيسة طلبها من العراق والهند، وكانت تُعد بالألوف، ومنها مخطوطات مذهبة، وبعد وفاته تفرقت بين ورثته، فباع فريق منهم حصته، وأهمل الفريق الآخر حصصه حتى أمست فريسة للأرضة،[٥٤] فتلف أكثرها على مر الأعوام، وألقيت جملة منها في بحر النجف وفي الآبار.[٥٥]

خاتمة:

إن التراث العربي والإسلامي الضخم من المخطوطات يمثل أكبر ثروة عرفها العالم، ولكن هذا التراث العظيم لم يسلم من الرزايا والبلايا، فقد عانت الأمة العربية والإسلامية على مدار تاريخها الطويل من فقد الكتب، وقد أوضحت الدراسة الدور الذي لعبه الماء بيد السلطة في اختفاء جزء معتبر من التراث العربي المخطوط. كما أن النصوص التي ذكرتها الدراسة من المصادر الأصيلة تميط اللثام عن أغلب الدواعي لإتلاف للكتب، حيث تمثلت مبررات غسل السلطة للكتب في: خوف مضاهاة الكتب بالقرآن والاشتغال بها عنه، خوف الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ، وعدم نشر الكتب الباطلة لما فيها من ضلال، تحريم الاقتناء والمطالعة، الخصومة والحسد، تأديب المؤلف، وتمثلت مبررات إغراق السلطة للكتب في: الانتقام الشخصي، الجهل بقيمة الكتب، الحروب والغزو الخارجي.

وإذا كان هناك رأي بأن ظاهرة إتلاف السلطة للكتب لم تكن ذات أثر بالغ في تدمير الإنتاج الفكري للعلماء المسلمين، أو في القدح في الحضارة الإسلامية؛ فحالات الإتلاف كانت قليلة مقارنةً بمئات الآلاف من الكتب التي وصلت إلينا، لكن الحقيقة أن ضياع ذلك التراث انعكس سلبًا على استكمال موضوعات وعناوين يحتاجها طالب العلم والعالم معًا فضلاً عن مثقفي الأمة، فهناك عناوين لمؤلفات لدى ابن النديم، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، وغيرهم من أصحاب كتب الفهارس والتراجم، إلا أننا لا نجد لتلك المؤلفات أثرًا سوى ذكر اسمها في سياق ترجمة أعمال هذا المؤلف أو ذاك، مما يجعل من إمكانية التواصل الثقافي في حياة أي أمة منقوصًا.

المصادر والمراجع:

- ابن أبي أصيبعة (٢٠٠١): مُوَفَّق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ تحقيق: عامر النجار.– القاهرة: الهيئة المِصْرَية العامة للكتاب.
- ابن الأثير (١٩٧٠): علي بن محمد بن عبد الكريم (ت.٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة.– القاهرة: دار الشعب.
- ابن تيمية (بدون تاريخ): أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت.٧٨٢هـ)، مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية.– بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ابن حجر العسقلاني (١٣٢٨هـ): أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت.٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة.– القاهرة: طبعة مولاي عبد الحفيظ.
- ابن حجر العسقلاني (١٩٧٢): أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت.٨٥٢هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ تحقيق ومراقبة: محمد عبد المعيد ضان.– حيدر آباد الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤): أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت.٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب.– بيروت: دار الفكر.
- ابن خلدون (٢٠٠٠): عبد الرحمن بن محمد (ت.٨٠٨هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)/ مراجعة: سهيل زكار.– بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.
- ابن عبد البر (١٩٧٨): يوسف بن عبد الله (ت.٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ تحقيق: علي البجاوي.– القاهرة: دون ناشر.
- إسراء محمد عبد ربه، أشرف صالح محمد (٢٠١٨)، خزائن المعرفة في الحضارة العربية: مصر والشام والأندلس.– الجزائر: منشورات ألفا للوثائق.
- الأَصْبَهَانِي (١٩٨٨): الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت.٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.– بيروت: دار الكتب العلمية.

- باسل طه جاسم، فارس محمود ذنون (٢٠١١)، "المراكز العلمية المميزة في بغداد في العصر العباسي".- مجلة جامعة تكريت للعلوم.- المجلد (١٨)، العدد (١١)، كانون الأول.
- التميمي (١٩٥٢): أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت.٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل.- بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (١٩٥٥)، ماضي النجف وحاضرها.- بغداد: مطبعة الآداب.
- خالد السعيد (٢٠١٨)، حرق الكتب: تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات.- الدمام: دار أثر للنشر والتوزيع.
- خالد السعيد (٢٠١٨)، حرق الكتب: تاريخ إتلاف الكتب والمكتبات.- الدمام: دار أثر للنشر والتوزيع.
- خير الدين الزركلي (٢٠٠٢)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين.- بيروت: دار العلم للملايين.
- خير الله سعيد (٢٠١١)، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية.- بيروت: دار الانتشار العربي.
- زيغريد هونكه (٢٠٠٠)، شمس العرب تسطع على الغرب/ نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي/ راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري.- بيروت: دار صادر.
- السخاوي (١٩٣٤): شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى (ت. ٩٠٢هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.- القاهرة: مكتبة القدس.
- الشوكاني (١٩٢٩): محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت.١٢٥٠هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- الصفدي (١٩٩٨): صلاح الدين خليل أيبك (ت.٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر/ تحقيق: على أبو زيد.- بيروت: دار الفكر المعاصر.
- عابد سليمان المشوخي (٢٠٠٧)، "أثر العوامل البشرية في ضياع التراث العربي الإسلامي".- تراثيات: مجلة محكمة يصدرها مركز تحقيق التراث في دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة.- ع٩/ جمادى الآخرة ١٤٢٨- يوليو ٢٠٠٧. (ص٢٩ – ٩٦).

- عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥)، الشذرات في أخبار الكتب والكتاب والمكتبات.- الكويت: غراس للنشر والتوزيع.
- عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١)، "ظاهرة غرق النصوص المحفوظة أو إغراقها ومحوها بالماء في التراث العربي الإسلامي".- مرآة التراث: مجلة علمية تراثية محكمة تصدر عن مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث – الرباط.- ع١/ جمادي الثانية ١٤٣٢- يونيو ٢٠١١. (ص٢٦ – ٣٨).
- عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢)، الكتاب في الحضارة الإسلامية.- الكويت: شركة الربيعان.
- عثمان عبد العزيز صالح المحمدي، عبد الباسط عبد الرزاق الالوسي (٢٠٠٩)، "من روائع الحضارة العربية الإسلامية مكتبة بيت الحكمة أنموذجًا: دراسة تاريخية".- مجلة ديالى للبحوث الإنسانية (العراق).- الإصدار (٣٤) الصفحات (١٨٤-٢١١).
- علاء الدين صادق الأعرجي (٢٠١٥)، الأمة العربية الممزقة بين البداوة المتأصلة والحضارة الزائفة: دراسة لتفسير الصراع بنظرية العقل المجتمعي.- لندن: إي كتب.
- علي محمد الصلابي (٢٠٠٩)، دولة المغول والتتار بين الانتشار والانكسار.- بيروت: دار المعرفة.
- عمر رضا كحالة (١٩٨٧)، معجم المؤلفين.- بيروت: مكتبة المثنى.
- العَيْدَرُوس (١٩٨٥): عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت.١٠٣٨هـ)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- الغزي (١٩٩٧): نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت. ١٠٦١هـ)، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة/ تحقيق: خليل المنصور.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- القلقشندي (١٩٨٧): أحمد بن علي (ت.٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا.- بيروت: دار الكتب العلمية.
- كامل حسين الغزي (١٩٩٨)، نهر الذهب في تاريخ حلب.- حلب: دار القلم.
- كوركيس عواد (١٩٨٦)، خزائن الكتب القديمة في العراق: منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة.- بيروت: دار الرائد العربي.

- لوسيان بولاسترون (٢٠١٠)، كتب تحترق: تاريخ تدمير المكتبات/ ترجمة: هشام صالح، محمد مخلوف.– الدوحة: وزارة الثقافة والفنون والتراث.
- محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥)، ظاهرة إتلاف الكتب: بواعثها، آثارها، موقف المحدثين منها.– القاهرة: دار الإحسان.
- محمد بن شريفه (٢٠٠٢)، الأمير المرابطي ميمون بن ياسين: حياته وحجه (٤٧٠ هـ – ٥٣٠ هـ)/ المجلد (١٠) من كتاب "دعوة الحق".– المحمدية، المغرب: مطبعة فضالة.
- محمد جميل بيهم (١٩٢٥)، فلسفة التاريخ العثماني: كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها.– بيروت: مكتبة صادر.
- محمد كرد علي (١٩٥٠)، الإسلام والحضارة العربية.– القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- محمد ماهر حمادة (١٩٧٨)، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها.– بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.
- محمود شيت خطاب (١٩٨١)، الوسيط في رسالة المسجد العسكرية.– بيروت: دار القرآن الكريم.
- محمود عزت عرفة (١٩٤٤)، "وجهة نظر".– مجلة الرسالة، العدد (٥٨٦) بتاريخ ٢٥ سبتمبر ١٩٤٤.
- معجب سعيد العدواني (٢٠١٥)، رماد الكتب: الأنساق الخفية في ثقافتنا.– بيروت: دار الانتشار العربي.
- منصور بن عبد الله المشوح (٢٠١٣)، اهتمام المسلمين بالكتب.– الرياض: دار القاسم.
- منصور محمد سرحان (١٩٩٧)، المكتبات في العصور الإسلامية.– المنامة: مكتبة فخراوي.
- ناصر الحزيمي (٢٠٠٣)، حرق الكتب في التراث العربي: مسرد تاريخي.–بيروت: منشورات الجمل.
- النَّهروالي (١٨٨٦): قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد (ت.٩٩٠هـ)، الإعلام بأعلام بين الله الحرام (تاريخ مكة المشرفة).– القاهرة: المطبعة العثمانية.
- نوفل محمد نوري (٢٠١٠)، "إتلاف الكتب في الحضارة العربية الإسلامية: دراسة تاريخية في

أسبابها في العصر العباسي (١٣٢ – ٦٥٦هـ/ ٧٤٩ – ١٢٥٨م)".– مجلة التربية والعلم (العراق).– المجلد (١٧) العدد (٤) الصفحات (٣٠ – ٥١).

- وسام منير عبد الرحمن الزغبي (٢٠٠٧)، مصائر الكتب الإسلامية: دراسة في عوامل اختفاء الكتاب الإسلامي في الفترة من القرن الثالث الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري/ أطروحة ماجستير إشراف: محمود عباس حمودة.– القاهرة: كلية الدراسات الإنسانية – جامعة الأزهر.
- وفاء أحمد سعيد البياتي (٢٠١١)، "الكتب والمكتبات في الحضارة العربية والإسلامية".– مجلة البحوث والدراسات الاسلامية (ديوان الوقف السني –العراق).– المجلد (١) الاصدار (٢٣) الصفحات (٢٦٥–٢٩٠).
- ياقوت الحموي (١٩٨٠): أبو عبد الله (ت. ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.– القاهرة: دار الفكر. وطبعة (١٩٩١).– بيروت: دار الكتب العلمية. وطبعة (١٩٩٣)/ تحقيق: إحسان عباس.– بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨)، الكتاب في الحضارة الإسلامية.– بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨)، الكتاب في الحضارة الإسلامية.– بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- يوسف العش (١٩٩١)، دُور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط/ ترجمه عن الفرنسية: نزار أباظة، محمد صباغ.– بيروت: دار الفكر المعاصر.

الهوامش

(١) خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٧).

(٢) كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٦). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٨).

(٣) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٣٨، ص٤٠).

(٤) راجع: ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤، ج١/ ص٣٤٢).

(٥) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٤١ – ٤٢).

(٦) راجع: ابن حجر العسقلاني (١٣٢٨هـ، ج٧/ ص٢٠٩).

(٧) راجع: التميمي (١٩٥٢، ج٥/ ص٢٠٩). ابن حجر العسقلاني (١٩٨٤، ج٦/ ص١٤٠)،

(٨) راجع: الأَصْبَهَانِي (١٩٨٨، ج٢/ ص١٠٢– ١٠٥).

(٩) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٤٣).

(١٠) راجع: التميمي (١٩٥٢، ج٦/ ص٣٢٥).

(١١) راجع: ابن عبد البر (١٩٧٨، ج٣/ ص٩٧٩). ابن الأثير (١٩٧٠، ج٣/ ص٣٦٧).

(١٢) محمد إبراهيم العشماوي (٢٠١٥، ص٢١، ص٢٨ –٣١).

(١٣) محمد بن شريف (٢٠٠٢، ص١٠٠). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٢)

(١٤) زيغريد هونكه (٢٠٠٠، ص٣٨٨، ٣٩٠). منصور بن عبد الله المشوح (٢٠١٣، ص١٦ – ١٧).

(١٥) عبد العال بن سعد الرشيدي (٢٠١٥، ص٢٤١).

(١٦) يوسف العش (١٩٩١، ص٢١٠).

(١٧) منصور بن عبد الله المشوح (٢٠١٣، ص١٧).

(١٨) عن هذه الدار، راجع: كوركيس عواد (١٩٨٦، ص١٥٩ – ١٦٠). باسل طه، فارس محمود (٢٠١١، ص٤٨٤). خير الله سعيد (٢٠١١، مج٢/ ج٣، ج٤/ ص١٠٨)

(١٩) أو لعله كتاب "الفصول والغايات في معارضة السور والآيات". راجع: كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٨/ هامش٣).

(٢٠) ياقوت الحموي (١٩٩٣، ج٥/ ص٢٢٦٦). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٢). كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٨). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣٢٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤١ – ٤٢). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣١). علاء الدين صادق الأعرجي (٢٠١٥، ص١٤٧).

(٢١) محمود عزت عرفة (١٩٤٤، العدد ٥٨٦).

(٢٢) خير الله سعيد (٢٠١١، مج٢/ ج٣، ج٤/ ص١٦٦).

(٢٣) معجب العدواني (٢٠١٥، ص٢٨).

(٢٤) ابن حجر العسقلاني (١٩٧٢، ج٣/ ص٣٩). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣٢٠ – ٣٢١). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٤٢). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣١ – ٣٢).

(٢٥) كوركيس عواد (١٩٨٦، ص٣٧).

(٢٦) فصوص الحكم، كتاب يتكلم فيه مؤلفه ابن عربي (ت.٦٣٨هـ) عن الأسرار الإلهية الأكبر، ويعتبر من أهم كتب التصوف الإسلامي التي تتكلم على أسرار الأنبياء والرسل مبينة الحقائق الوجودية الثلاثة: الله والكون والإنسان، وعلاقة الإنسان مع الكون ومع خالق الكون.

(٢٧) السخاوي (١٩٣٤، ج١/ ص٢٣١). كامل حسين الغزي (١٩٩٨، ج٣/ ص١٤٩). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٢).

(٢٨) العسقلاني (١٩٧٢، ج٥/ ص١٤٩). الشوكاني (١٩٢٩، ج٢/ ص١٥٢). عبد الله محمد الحبشي (١٩٨٢، ص١١٩).

(٢٩) الزركلي (٢٠٠٢، ج٦/ ص٥٥).

(٣٠) الصفدي (١٩٩٨، ج٤/ ص٣٥٦ – ٣٥٧).

(٣١) الشوكاني (١٩٢٩، ج٢/ ص١٥٢). محمد بن حسن بن عقيل موسى (١٩٩٥، ج١/ ص١٨٨).

(٣٢) العَيْدَرُوس (١٩٨٥، ج١/ ص١٧٤ – ١٧٧). عمر رضا كحالة (١٩٨٧، ج١١/ ص٢١ – ٢٢).

(٣٣) الغزي (١٩٩٧، ج١/ ص١٦٢ – ١٦٣). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٧ – ص٦٨).

(٣٤) ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص٦٨/ هامش٣).

(٣٥) خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٧).

(٣٦) وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص٢٢٩).

(٣٧) إسراء محمد عبد ربه، أشرف صالح محمد (٢٠١٨، ص٨١).

(٣٨) ياقوت الحموي (١٩٨٠، ج٥/ ص٥٣).

(٣٩) ابن أبي أصيبعة (٢٠٠١، ج٣/ ص١٦٣). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٥). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٣٦).

(٤٠) ابن أبي أصيبعة (٢٠٠١، ج٣/ ص٤٠٠– ٤٠١). ناصر الحزيمي (٢٠٠٣، ص١٣٦ –

١٣٧). وسام منير (٢٠٠٧، ص٨٤، ص٢٣٠). عابد سليمان (٢٠٠٧، ص٣٧). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٣ – ٣٤). إسراء محمد عبد ربه، أشرف صالح محمد (٢٠١٨، ص٨٢).

(٤١) عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٢).

(٤٢) علي محمد الصلابي (٢٠٠٩، ص٢٠٢). راجع: عثمان عبد العزيز، عبد الباسط عبد الرزاق (٢٠٠٩، ص١٨٤ – ٢١١). نوفل محمد نوري (٢٠١٠، ص٤٢ – ٤٣).

(٤٣) خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٢٣). دمر المغول بالإضافة إلى مكتبة بيت الحكمة ستًا وثلاثين مكتبة عامة أخرى في بغداد. منصور محمد سرحان (١٩٩٧، ص٦٦).

(٤٤) ابن خلدون (٢٠٠٠، ج٣/ ص٦٦٣).

(٤٥) القلقشندي (١٩٨٧، ج١/ ص٥٧٣). منصور محمد سرحان (١٩٩٧، ص٦٦ – ٦٧).

(٤٦) وقيل أن هولاكو أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة. راجع: محمد كرد علي (١٩٥٠، ج١/ ص٣٢٣).

(٤٧) النَّهروالي (١٨٨٦، ص٨٤ – ٨٥). وسام منير (٢٠٠٧، ص١٦٠). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٣).

(٤٨) علي محمد الصلابي (٢٠٠٩، ص٢٠٣). وفاء أحمد سعيد (٢٠١١، ص٢٨٧).

(٤٩) محمد ماهر حمادة (١٩٧٨، ص٢٠٥).

(٥٠) لوسيان بولاسترون (٢٠١٠، ص١٣٥).

(٥١) محمود شيت خطاب (١٩٨١، ص٣٢٣).

(٥٢) ابن تيمية (د.ت، ج١/ ص١٥٥). عبد اللطيف الجيلاني (٢٠١١، ص٣٣).

(٥٣) محمد جميل بيهم (١٩٢٥، ص٧٣). وسام منير (٢٠٠٧، ص١٦٠). خالد السعيد (٢٠١٨، ص١٢٣).

(٥٤) الأَرَضَةُ أو النمل الأبيض، الأَرَضَةُ أو "دابة الأرض" هذه هي التسمية المستعملة في اللغة العربية، فتسمى: «أَرَضَةُ» بفتح الهمزة بعدها راء مفتوحة وضاد معجمة مفتوحة اسم دودة بيضاء تشبه النملة.

(٥٥) جعفر آل محبوبة (١٩٥٥، ص١٠٤). يحيى وهيب الجبوري (١٩٩٨، ص٣١٧).